بسم الله الرحمن الرحيم

الأحد 5/8/2012 18/رمضان/1433 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

الأربعون النووية

مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ

عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: ((**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**))، [رواه البخاريُّ ومسلمٌ].

هذا الحديث له أقسام ثلاثة:

1- قول الخير أو السكوت.

2- إكرام الضيف.

3- إكرام الجار.

ربط الحديث هؤلاء الثلاثة بالإيمان بالله وباليوم الآخر، فإيمان المؤمن بالله ومرجعيته التي ينتمي لها من كتاب وسنة مربوطة بأخلاقه التي منها: قول الخير، وإكرام الجار، والضيف.

هناك مبحث يدرس في مطلع مباحث الأخلاق وهو تعريف الأخلاق؟ ومن هو الذي يقرر أن هذا الخلق نبيل، أو دنيء؟

هناك نظرية في علم الاجتماع اسمها نظرية المنفعة، يقولون فيها: (**كل شيء ينفع هو أخلاقي، وكل شيء لا ينفع فليس بأخلاقي**).

✓ فلو أن العالم صنع أسلحة كيمائية أو جرثومية وكانت هذه الأسلحة تباع بأسعار عالية وتأتي بمنفعة كبيرة للدولة المصنعة فصناعة هذه الأسلحة فعل أخلاقي، واستخدام هذه الأسلحة فعل أخلاقي.

✓ إذا كان الصدق يقلل من أرباحه المالية، فهذا الفعل غير أخلاقي، وبالتالي فإن الصدق غير جيد، والكذب جيد.

وهناك من يرى أن أساس الخلق النبيل أو الرديء هو العرف فمثلاً:

- ✓ إذا تعارف الناس على الزنا بأنه شيء جيد فمعناه أنه جيد.
- ✓ إذا تعارف الناس أن الحجاب عبارة عن قهر وحجز للحريات الشخصية فمعنى ذلك أن الحجاب سيء.

أما الإسلام فينظر للأخلاق لا على أساس النفع ولا على أساس العرف بل ينظر للأخلاق على أنها تشريع من الله عز وجل فما حسنه الشرع فهو حسن، وما قبحه الشرع فهو قبيح.

فإذا قال الشرع أن الكذب والإساءة قبيحان فهما قبيحان، وإذا قال بأن الصدق وإكرام الضيف حسنان، فهما حسنان.

في الغرب إكرام الضيف خسارة مادية إلا إذا كان سيأتي لك بمردود أكبر، فالشركات التجارية تصنع ولائم لكن لا تدعو الناس البسطاء والفقراء لوجه الله تعالى بل تدعو من يأتي بمردود، أما في الإسلام فإكرام الضيف أخلاقي والإساءة إليه قبح.

فالمسلمون مرجعيتهم ما قاله الله ورسوله، وتجدون ذلك جلياً في هذا الحديث.

((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)).

تعلمون أن المرء محاسب على أفعال جوارحه وقلبه.

فمن أفعال الجوارح: اللسان وما يتعلق به، وقد عد علماء التربية الروحية أمراض اللسان التي ينبغي على المرء أن يجتبها فتوصلوا إلى اثنان ومئة من الأمراض وتستطيع السلامة منها بالصمت.

الصمت يوفر عليك اثنان ومئة من الأمراض، فالكذب، والنميمة، والسخرية، وسب الله تعالى، واليمين الغموس، وشهادة الزور، الاستخفاف بالناس... كلها أمراض للإيقاع بين الناس.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ لُقْمَانَ قَالَ: ((**إِنَّ مِنَ الْحِكَمِ الصَّمْتَ ، وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ**))، [ابن حبان].

عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: **قَالَ رَجُلٌ لِلْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ: بِمَ سُدْتَ قَوْمَكَ؟ –وَأَرَادَ عَيْبَهُ– فَقَالَ الْأَحْنَفُ: (بِتَرْكِي مِنْ أَمْرِكَ مَا لَا يَعْنِينِي, كَمَا أَعْنَاكَ مِنْ أَمْرِي مَا لَا يَعْنِيكَ)**.

[المجالسة وجواهر العلم للدينوري].

تجتمع أحياناً بأناس لهم مراتب عالية جداً، لكن يحدث موقف فيتكلمون كلاماً يسقطون به من عينك ولو صمتوا لكان خيراً لهم، وترى رجلاً تزدريه الأعين فإذا تكلم بزَّ قائلهم، فالمرء مخبوء تحت لسانه فإذا تكلم عرف.

حصل مع الإمام أبو حنيفة قصة طريفة وذلك أن جاءه رجل مهيب ذو لحية وعمة كبيرة عليه سمة العلم، فجلس في المجلس فاحتشم أبو حنيفة وقبض رجليه، -وكان قد مد رجليه- وتكلموا ودار النقاش في المجلس، فإذا هذا السائل يقول: متى يفطر الصائم؟ فقال أبو حنيفة: إذا غربت الشمس، قال: وإذا لم تغرب؟! فمد أبو حنيفة رجله، وقال: آن لأبي حنيفة أن يمد رجله.

شخص كان يذهب لزيارة مريض وفي طريقه شاهده صديقه فسأله إلى أين تذهب؟ فقال: لزيارة مريض، قال: خذني معك، قال له: تفضل، فذهبا معاً ولما دخلا إلى المريض -وكان المرض في عينه- قال المرافق للمريض: ما تشتكي؟ قال: عيني، قال: قريب لي اشتكى عينه ثم اقتلعوها له، فقال له صاحبه: قم أخزاك الله.

أحياناً تقول كلمة تغير فيها حياتك، مثلاً: شخص يكون منزعج من زوجته فيزوره صديقه ويسأله عن حاله، فيقول له: أنا منزعج منها فيشير عليه أن يضربها أو يطلقها، ويقول: النساء لا يفهمن إلا بالضرب، فيصدق الرجل ويضرب زوجته أو يطلقها.

دَرِّب نفسك أن لا تقول إلا خيراً.

اثنان يجلسان يتحدثان عن مشروع تجاري فيقترح عليه صديقه مشروعاً يكون فتحاً في الحياة ما الله به عليم، وآخر يشير على إنسان مشورة دنيوية شريرة فيؤذيه خمسين عاماً إلى الأمام.

ممكن أن تكون الاستشارة دنيوية وممكن أن تكون أخروية أذكر أنني كنت في الصف الثامن فسأل أحد الأساتذة قال من يصلي؟ فرفعت يدي مع بعض الطلاب فأتاني صديق لي عندما كنا في الاستراحة وسلم علي ثم قال: أعلم أنك تصلي، قلت له: نعم، قال: أنا أحضر درساً ما رأيك أن تذهب معي؟ قلت: متى؟ قال: يوم الجمعة، فذهب معه وبقيت هناك ثلاثين سنة.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ((الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ))، قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ((أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا))، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: ((تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ))، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: ((تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ))**، [البخاري ومسلم].

نقول في العامية: هذا الإنسان لسانه متبرئ منه، أو أن لسانه سليط.

عَنْ أَسْوَدَ بْنِ أَصْرَمَ الْمُحَارِبِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: **يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: ((هَلْ تَمْلِكُ لِسَانَكَ؟))، قَالَ: فَمَا أَمْلِكُ إِذَا لَمْ أَمْلِكْهُ؟! قَالَ: ((أَفَتَمْلِكُ يَدَكَ؟))، قَالَ: فَمَاذَا أَمْلِكُ إِذَا لَمْ أَمْلِكْ يَدِي؟! قَالَ: ((فَلا تَقُلْ بِلِسَانِكَ إِلا مَعْرُوفًا، وَلا تَبْسُطْ يَدَكَ إِلا إِلَى خَيْرٍ))**، [الطبراني].

هناك أناس ثرثارون كثيري الكلام، تجلس معهم ساعة أو ساعتين ولا تستفيد شيئاً، فهذا مضيعة للوقت.

كيف نتدرب على الصمت؟

1- **ذكر الله تعالى:** وخلال ذكرك سيأتي من يزعجك ويقطع عليك، لكنك قرر ألا تتكلم لمدة ساعة مثلاً، ودرب نفسك ساعة بعد ساعة حتى يصير عندك قدرة وسلطان على لسانك.

2- **حضور مجالس العلم:** فهي تفيد في التدريب على الصمت وتفيد على كلام الخير؛ لأن كلام الخير يأتي بالمغذيات التي حولك والروافد التي حولك، فإذا كانوا هم خَيِّرون، فسيصبح عندك مخزون من الخير.

الإنسان الذي إذا تكلم كان دليله بآية أو حديث أو بيت شعر أو قصة... هذا يحمل مخزوناً من الخير، أما إذا لم يكن عنده مخزون من الخير فدليله: الأغاني يقول مثلاً: لا تلعب بالنار تحرق أصابيعك، أو يقول افرح غني عش متهني الدنيا مادمتش لحد، أو طنش تعش.

3- **درب نفسك على الصمت:** مثلاً: قل في نفسك أنني من المغرب إلى العشاء لن أتكلم مع أحد، **فمن أغلق لسانه فتحت مدارك قلبه وعقله.**

إذا أراد أحدنا أن يدرس فإنه ينزعج من أي أحد تكلم أمامه؛ لأنه يشوش عليه، فالدراسة يجب أن تكون في مكان هادئ يغلق عليه مدارك سمعه حتى تفتح مدارك العقل والقلب، أما جلوسه في مكان كثر الكلام فيه فلن يستطيع أن يفكر.

عَنْ سِمَاكٍ قَالَ: **قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: ((نَعَمْ.. فَكَانَ طَوِيلَ الصَّمْتِ، قَلِيلَ الضَّحِكِ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَذْكُرُونَ عِنْدَهُ الشِّعْرَ، وَأَشْيَاءَ مِنْ أُمُورِهِمْ فَيَضْحَكُونَ وَرُبَّمَا تَبَسَّمَ))**، [الإمام أحمد].

إذا رأيت إنساناً يكثر الصمت فاعلم أنه في الغالب لديه فكرة، وإذا رأيت إنساناً يكثر الكلام فاعلم أنه ليس لكلامه قيمة، ولنذكر أنه ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، [ق: ١٨].

((وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ)).

الإسلام يحب الجماعة ومن جملة الدعوة للجماعة كان أمره بإكرام الجار.

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟)) فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا وَقَالَ: ((...وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا...))، [الترمذي].

تجد بناءً قديماً يريد أصحابه أن يضعوا به مصعداً فيقول أحد السكان: لا يريد أن يوضع المصعد، فيسأل: هل عندك مشكلة مالية لندفع عنك وتقسط لنا فيما بعد؟ فيقول: لا فأنا أملك المال لكنني لا أريد أن يوضع المصعد، فيقولون له: نحن نتولى ذلك لا تشارك بثمنه، فيقول: لا أريد أن يوضع المصعد في هذا البناء أبداً فاستجاب كل أصحاب البناء له، ففرح بأن كلمته هي التي نفذت.

أقول له لا تفرح كثيراً فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ))، [البخاري ومسلم].

فأهل البناء كلهم يداروه لأنه شرير، وليس لأن له قيمة.

هناك قوانين إلهية تحكم في هذا الكون ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾، [الرعد: 17] وكم مر على الدنيا من مثل هذا الإنسان.

تجد عائلة مسافرة لعام كامل يضعون المفتاح عند جارهم يسقي لهم النبات فيسألون: كيف تضعون مفتاح بيتكم عند الجيران، ألا تخاف؟! فيكون الجواب: جاري آمنه على داري أكثر من نفسي، فهذا هو المؤمن.

عَن أَبِي شُرَيْحٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ)) قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ))، [البخاري].

وزاد البيهقي: قَالُوا: وَمَا بَوَائِقُهُ؟ قَالَ: ((شَرُّهُ)).

قال العلماء: **لا يؤمن إيماناً كاملاً.**

يا أيها الأخوة الدين ليس فقط أن أصلي، وهو جزء مهم، لكن تعاملي مع جيراني تعاملاً حسناً أيضاً جزء مهم.

أثنى بعض الناس على رجلٍ في مجلس عمر، فسأله: أصحبتهُ في سفر؟ قال: لا. قال: أعاملته بالدرهم والدينار؟ قال: لا. قال: أأنت جارهُ المجاور؟ قال: لا. فقال عمر: اجلس، فأنت لا تعرفه، لعلك رأيته في المسجد يصلي ركعتين.

((وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ)).

جاء الإسلام وعند العرب صفات محمودة عززها، وكان من أحد هذه الصفات **إكرام الضيف**، فقد كان العرب يكرمون الضيف.

حاتم الطائي كان قبل الإسلام (جاهلي) وقد ذكر عنه أشياء عجيبة حول موضوع الضيف ومنها:

جاءت سنة قحط وجف الضرع وقل الزرع، وليس عند حاتم الطائي شيء، فجاءته امرأة ومعها بناتها فقرعت الباب وقالت: أنا وأولادي جياع، وحاتم الطائي لا يملك إلا فرسه –ومن عادة العرب الاعتزاز بالفرس– فقام على فرسه فذبحه وسلخه، ثم قال لزوجته: عليك به، فطبخته، ثم دار حاتم على البيوت؛ لأن الجياع كثر وجعل يقول: انظروا إلى تلك النار عند صاحب هذا الدار طعام فاذهبوا إلى طعامه، فجعل الناس يأكلون وحاتم جالس لم يأكل لقمة ينظر إليهم وهو أحوج الناس إلى الطعام.

قال بخيل لابنه: أحضر لنا الطعام لنأكل، وفي هذا الوقت قرع الباب، فقال: يا أبني أدخل الطعام وافتح الباب، ثم قال لا.. افتح الباب فإن كان أحدٌ فلا تدخل الطعام.

جاء ضيف إلى أحدهم فأرسل ابنه ليحضر له لحماً، فذهب هذا الابن وغاب وقد أحضر ماء، قال: ما فعلت؟! قال: ذهبت إلى اللحام فسألته ألديك لحم؟ فقال: عندي لحم مثل الدُّبْس طري جداً، فقلت في نفس: أن الدبس خير من اللحم، فذهبت إلى بائع الدبس فقلت له: عندك دبس؟ فقال: عندي دبس مثل الماء رقيق جداً، فقلت: الماء أفضل من الدبس، فأحضرت ماء وأتيت، قال: يا ولدي أصلحك الله لقد مشيت ساعة فأتلفت حذاءك، فقال: لا تخف يا أبت فقد لبست حذاء الضيف.

والحمد لله رب العالمين